أبو الفتح بن جني

وأثره في اللغة العربية

عصره ، مكانته العلمية ، آثاره

- ٥ -

نشأة « التصريف » وأثر ابن جني رحمه الله فيه :

علم التصريف أو علم الصرف هو صنو علم النحو وأخوه ، وكما أن النحو قد وجد لما أراد العلماء طرد القواعد لضبط أواخر الكلمات ونفي الشواذ ، كذلك وجد علم الصرف لما أراد العلماء ضبط صيغ الاشتقاق وطردها فوضعوا هذه القواعد العامة في الاشتقاق والابدال والاعلال [1] وما الى ذلك .

---

(١) يجب أن نذكر هنا رأي بروكلمان في نشأة هذين العلمين حيث يقول ما ترجمته : أوائل النحو والصرف ستبقى مجهولة الى الأبد لأن أملنا قليل بالعثور على نصوص أقدم من النصوص التي بين أيدينا ؛ فلا يمكننا إذن أن نعرف أي مقدار أخذه النحاة العرب عمن سبقهم من النحاة الأقدمين . يقول الأستاذ Braunlichi براونليكي إن تأثير الأقدمين على النحو العربي لم يبدأ إلا مع سيبويه وإن من كان قبله من العلماء — كالخليل — كانوا عرباً أقحاحاً » ولا يمكننا أيضاً أن نعتبر أن الخليل هو الواضع فقد كان قبله آخرون ، أما قصة أبي الأسود فهي الى الخرافة أقرب منها الى أي شيء آخر .
أما التصريف فيقولون إنه نشأ مع معاذ بن مسلم الهرّاء (— ١٨٩ أو ١٩٠) وليس معاذ إلاّ نحوياً [انظر النزهة : ٦٤ وابن خلكان : ٩٩/٢ والبغية : ٢٩٣] وقول ابن فارس في الصاحبي : ٤٢ ان علم العربية خال من أي تأثير أجنبي غير صحيح وقد بحث ذلك مفصلاً Bravmann براومان في رسالته عن الحروف والمصادر العربية وقد طبعت في برسلو سنة ١٩٣٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولئن كان للنحاة أثر عظيم في جمع قواعد العربية وضبطها هذا الجمع والضبط المتينين فإن للصرفيين أثراً أعظم في استنباط هذه القواعد العامة التي يعرف بها كيفية اشتقاق اسم الفاعل واسم المفعول ، والمصدر الميمي واسم الزمان واسم المكان واسم الآلة واسم التفضيل ... وليس من شك في أن العرب الأقدمين لم ينطقوا بكل مشتقات مادة بعينها ولكن الصرفيين هم الذين أعطونا المفتاح الذي به استطعنا أن نقيس ونشتق هذه الأسماء .

وان هذا الاشتقاق هو الذي وسع موادّ اللغة العربية ، فقد نقل عن الامام سيبويه أن التصريف «هو أن تبنى من الكلمة بناء لم يبنه العربي على وزن ما يبنيه ، ثم يعمل في البناء الذي يبنيه ما يقتضيه القياس» (١) . وقال ابن جني : التصريف هو أن تأتي الى الحروف الأصول فتتصرف فيها بزيادة حرف أو تحريف بضرب من ضروب التغيير (٢) . وهذا التعريفان يبينان لنا بوضوح أثر علم التصريف والصرفيين في توسيع اللغة العربية .

وليس من شك في أن هذا العمل الجليل لا يستطيع القيام به إلاّ عقل قد أوتي جانباً عظيماً من العمق وحب التنظيم وطرد الشواذ وكثرة الاطلاع على آثار العرب وفهم أشعارهم وكلامهم فهماً دقيقاً يكوّن لصاحبه ملكة الابداع والتصرف فيه .

وقد اجتمعت هذه الشروط في أئمة النحو البصريين الذين كانوا ـ الى علمهم الواسع بالعربية ولغاتها ـ على جانب عظيم من الذكاء وحب للجدل والكلام في أصول الدين .

قال أستاذنا العلامة الجليل ابرهيم مصطفى : «حينما بدأ الفقه في الكوفة كانت البصرة سبقت الى الكلام في أصول الدين وأصول الفقه وكان مجلس

(١) انظر كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ج ١ ص ٩٢١ طبع الاستانة .
(٢) التصريف الملوكي ص ٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الحسن البصري يفيض بالمناقشات الدينية حول العقائد وأصول الدين والفتن التي غشيت المسلمين ، ومن تلك الحلقة نشأ واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وغيرهما من رؤوس المتكلمين ، ولم يكن للكوفة مثل هذا الحظ بل استعاضت عنه بدروس الفقه وتأصيله وتأسيس قواعده وذلك في مدرسة أبي حنيفة وأبي يوسف وزفر ومحمد وابن أبي ليلى ، ثم أخذت الكوفة في جمع الأشعار وتدوينها وكان حظها من ذلك عظيماً قام به المفضل الضبّي وحماد الراوية وأبو عمرو الشيباني [٢] » في تلك البيئة البصرية الحكيمة نشأ علم النحو كما نشأت فيها أوائل علم التصريف .

وقد كان النحاة الأولون كعبد الله بن أبي اسحق الحضرمي (— ١١٧) وعيسى بن عمر الثقفي (— ١٤٩) وأبي عمرو بن العلاء (— ١٥٤) والخليل بن احمد (— ١٨٠) وسيبويه (— ١٨٣) يمزجون أبحاث النحو بالتصريف كما نجد ذلك في كتاب سيبويه . ويزعم الكوفيون أن أول من بحث في التصريف بحثاً مستقلاً هو إمامهم معاذ بن مسلم الهرّاء (— ١٨٧) وأن أبا مسلم مؤدب عبد الملك بن مروان قد هجاه لما رآه يبحث في التصريف فقال :

قد كان أخذهم في النحو يعجبني حتى تعاطوا كلام الزنج والروم
لما سمعت كلاماً لست أفهمه كأنه زجل الغربان والبوم
تركت نحوهم والله يعصمني من التعجم في تلك الجراثيم

وقد ردّ معاذ بن مسلم على أبي مسلم هذا في أبيات ثلاثة . ويعلق السيوطي على هذه الحكاية بقوله : (ومن هنا لحت أن أول من وضع التصريف معاذ هذا) [٣] .

---

(١) من محاضرات للأستاذ ابرهيم مصطفى ألقاها في كلية الآداب بالجامعة المصرية عام ٩٣٢ — ٩٣٣ .

(٢) البغية ص ٣٩٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

قلت : ولا شك في أن الأقدمين من البصريين والكوفيين جميعاً كانوا يبحثون في مسائل علم التصريف ، ولكن يظهر أن معاذاً هو أول من أكثر من البحث والتعمق فيه . وأول من ألف فيه من البصريين أبو عثمان بكر بن محمد المازني [١] (– ٢٤٧) كما أن أول من ألف فيه من الكوفيين هو الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الباهلي (– ٢٠٧) . أما الفراء فكان كما يقول الزبيدي في طبقاته : هو أبرع الكوفيين في علمهم وله كتب حسنة في القرآن وغيره . وقال ابن النديم : كان شديد العصبية على سيبويه وكان يتفلسف في تصانيفه [٢] . وله من الكتب في علم التصريف : (المصادر في القرآن) و (الجمع والتثنية في القرآن) ، و (المقصور والممدود) و (أفعل وفعل) و (المذكر والمؤنث) [٣] ، ولم يبق من آثاره هذه إلا كتاب معاني القرآن [٤] ، ويظهر أن رسائله هذه كانت الى البحوث اللغوية أقرب منها الى البحوث الصرفية ولذلك لا ينبغي أن يعتد بها كثيراً في تاريخ نشأة علم التصريف ، وأما المازني ، الذي لم يكن بعد سيبويه أعلم منه بالعربية [٥] ، فقد أبقى لنا كتاباً في التصريف يشهد بسعة علمه وتعمق بحثه ونحن اذا قرأنا هذا الكتاب علمنا أن المازني ، هو إمام الصرفيين غير مدافع [٦] وقد وقع لنا كتابه العظيم بشرح ابن جني وهو من أجل ما ألف في هذا العلم . وكان أستاذنا العلامة ابراهيم مصطفى

---

(١) البغية : ٢٠٢ .
(٢) الفهرست : ١٠٠ وطبقات النحاة للزبيدي مخطوطتنا ص ١٧ رقم الترجمة (٦٤) .
(٣) مفتاح السعادة لطاش كبرى ١/١٤٤ .
(٤) انظر تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٢/١١٨ .
(٥) بغية الوعاة : ٢٠٢ .
(٦) من الكتاب نسخة في دار الكتب المصرية ونسخة أخرى في مكتبة كلية الآداب من الجامعة المصرية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

يعنى به من زمن حتى أخرجه للناس هذا العام مطبوعاً مع شرح ابن جني جزاه الله خير الجزاء [١] .

ومن البصريين الأُول الذين لهم أثر في علم التصريف الإمام أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن السريّ الزجاج (— ٣١١) وله كتاب (الاشتقاق) وكتاب (فعلت وأفعلت) [٢] ؛ والإمام أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (— ٣٢١) وله كتاب (الاشتقاق) وقد ذكر فيه اشتقاق الأسماء العربية وعمائرها وأفخاذها وبطونها وساداتها وشعرائها وفرسانها [٣] ؛ ومنهم ابن ولاّد أبو الحسن محمد بن الوليد التميمي العالم المصري (— ٢٩٨) [٤] ومن آثاره الصرفية كتاب (المقصور والممدود) وهو خير ما كتب في هذا البحث [٥] .

وجاء بعد هذه الطبقة الإمامان الجليلان أبو الحسن الرمّاني وابن جني . وقد تقدم الكلام عن الرماني وإنما نريد هنا أن نشيد بأثره في علم التصريف بالكتاب المفيد الذي شرح به كتاب تصريف المازني المسمى بالألف واللام [٦] .

وأما ابن جني فهو كما رأيت البحر العباب الذي برع في التصريف براعة عظيمة ، وأنت اذا قرأت كتاب (المنصف) في شرح تصريف المازني أو (سر الصناعة أو (التصريف الملوكي) وجدتْ أن الصرفيين بعده لم يزيدوا شيئاً على ما كتب في هذا العلم ، قال أستاذنا ابرهيم مصطفى : « وتعلمون

(١) نشرته وزارة المعارف المصرية بعناية الأستاذ ابرهيم مصطفى والسيد عبد الله امين في مطبعة الباني الحلبي سنة ١٩٥٤ .
(٢) الفهرست لابن النديم ص ٩٠ — ٩١ .
(٣) وقد طبع بعناية بعض المستشرقين في غوتنغن سنة ١٨٥٤ .
(٤) انظر أخباره في طبقات الزبيدي مخطوطتنا ص ٢٧ ورقم الترجمة (١٦١) والبغية : ١١٢ .
(٥) طبع في مصر سنة ١٩٠٨ .
(٦) البغية : ٣٤٤ ومفتاح العلوم ١٤٢/١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أن ابن جني هو بلا خلاف أفضل من بحث في الصرف . وإذا علمنا أن الصرف بدأ برسالة المازني علمنا أن الصرف هو علم هذين الإمامين ويمكن أن نستشهد على فضل كتاب المازني وشرح ابن جني بما نراه في كتب اللغة قبله كالعين مثلاً من اضطراب ووضع للكلمات في غير مواضعها كما يلاحظ ذلك الزبيدي . . »[1]

قلت : ولا يعلم حقيقة أثر ابن جني في التصريف واللغة إلاّ من اطلع على آثار الصرفيين وأصحاب المعاجم من بعده فانها كلها مطبوعة بطابعه وما نعرف بعد ابن جني عالماً كتب في التصريف وأجاد فيه ـ على أنه لم يأت بشيء جديد غير ما ذكره ابن جني ـ إلاّ الإمامان الكبيران عبد القاهر الجرجاني (ـ ٤٧٤) واحمد بن محمد الميداني صاحب مجمع الأمثال (ـ ٥١٨) ؛ أما الجرجاني فقد ذكر مترجموه أن له كتاباً في التصريف اسمه (العمدة[2]) وأنا وإن لم أر هذا الكتاب ولا أعرف له وجوداً أظن أن الإمام الجرجاني قد استطاع أن يخدم علم التصريف لما عرف عنه من الفكر السليم والبحث الدقيق الذي يتجلى في كتابيه الباقيين (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة) . أما الميداني فقد بقي لنا من آثاره رسالة لطيفة اسمها (نزهة الطرف في علم الصرف) وهي رسالة جد حسنة تدل على علم واسع وتنظيم حسن لمباحث علم التصريف ولكن ليس فيها جديد غير ما نجده في كتب ابن جني[3] .

وما أعرف بعد هؤلاء عالماً كتب في التصريف إلاّ وهو معتمد على كتب ابن جني : مثل عبد الوهاب الزنجاني ، وعز الدين بن ابرهيم بن عبد الوهاب

(١) من محاضرات الأستاذ ابرهيم مصطفى عام ٩٣٢ ـ ٩٣٣ في كلية الآداب المصرية .
(٢) مفتاح السعادة لطاش كبرى ١/١٤٣ .
(٣) نشرت مطبعة الجوائب هذا الكتاب سنة ١٢٩٩ مع كتابين آخرين هما انموذج الزمخشري ، وإعراب ابن هشام ، انظر بروكلمان ١/٢٨٩ وذيله ١/٥٠٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الزنجاني الذي كان حيًّا في سنة ٦٥٤ [١] فان له كتاباً في الصرف مشهوراً اسمه (العزّي) وهو متأثر كل التأثر بابن جنّي في كتابيه (التصريف الملوكي) و (سر الصناعة) . وقد عظمت شهرة هذا الكتاب وشرحته جماهير كثيرة من العلماء منذ زمن مؤلفه حتى العصر الأخير [٢] ؛ ومثل موفق الدين بن يعيش علي بن يعيش بن محمد بن أبي السرايا الحلبي (— ٦٤٣) وقد أفاد كثيراً من كتب ابن جني وبخاصة في (شرح المفصّل) فقد ملأه نقولاً عنه [٣] ؛ ومثل ابن الحاجب ابي عمرو عثمان بن عمر بن ابي بكر المصري (— ٦٤٦) صاحب (الشافية) في الصرف [٤] وآراؤها على جلالة قدرها صورة مصغرة عن آراء سر الصناعة وهي ممتازة بحسن التبويب والتصنيف . وقد اهتم الناس بها كثيراً فشرحوها ونظموها وترجموها الى التركيـة والفارسية والأوردية ومن أعظم شروحها شهرة شرح احمد بن الحسين فخر الدين الجاربردي (— ٦٤٦) وعليه حواشٍ كثيرة ذكرها بروكلمان في تاريخ الأدب العربي [٥] ؛ وشرح جمال الدين عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام الأنصاري (— ٧٦٣) ؛ وشرح رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (— ٦٨٤) وهو شرح عظيم الفائدة جداً مملوء بالبحوث المفيدة وقد طبع عدة مرات في الهند وبلاد العجم ومصر [٦] . وهنالك شروح كثيرة أخرى وحواشٍ وتعليقات ذكرها الحاج خليفة في كشف الظنون [٧] .

(١) انظر كشف الظنون ٢/ ١١٥ .
(٢) انظر تلك الشروح والحواشي في الكشف ٢/ ١١٥ .
(٣) انظر مفتاح السعادة ١/ ١٥٨ .
(٤) انظر الكشاف عن مخطوطات الأوقاف تأليفنا ص ٢٩٢ .
(٥) انظر بروكلمان : G. A. L. ١/ ٣٠٣ وذيله ١/ ٥٣١ والكشاف عن مخطوطات الأوقاف ص ١٩٢ .
(٦) انظر اخبار الاستراباذي في بغية الوعاة : ٢٤٨ وبروكلمان G. A. L. ١/ ٣٠٥ وكشف الظنون الطبعة الجديدة ٣/ ١٠٣١ .
(٧) كشف الظنون ٢/ ٤٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومثل العلامة ابن مالك محمد بن عبد الله ، جمال الدين الطائي ، النحوي الدمشقي (— ٦٧٢) وقد كتب في التصريف كتباً خاصة ، و كتباً ممزوجة بالنحو فمن الكتب الخاصة (ايجاز التعريف بعلم التصريف) وقد شرحه ابن اياز النحوي (— ٦٨١) [١] ، و (لامية الأفعال في التصريف) وقد شرحها ولده الإمام النحوي بدر الدين (— ٦٨٦) [٢] ومن كتبه الممزوجة (الألفية النحوية) المشهورة ؛ وتمتاز كتب الإمام ابن مالك بحسن عرضه للقواعد واختصارها واختيار الجيد المستقيم منها .

وهناك علماء آخرون بحثوا في التصريف بحثاً ذا قيمة منهم :

الرضي الاسترابادي ، والفخر الجاربردي في شرحهما للشافية ؛ وعلي بن مسعود صاحب المتن المشهور (بمراح الأرواح) [٣] وهو من الكتب المشهورة التي أضحت لها شهرة كبيرة في العصر العثماني لاهتمام علماء الترك بها اهتماماً كبيراً .

ومنهم الإمامان الجليلان سعد الدين التفتازاني شارح (كتاب العزّى) ، والجلال السيوطي صاحب (الأشباه والنظائر) و (جمع الجوامع) و (الاقتراح) و (المزهر) وفي هذه الكتب النحوية والصرفية كلها نقول مستفيضة عن كتب ابن جني .

ولو رحنا نستقصي نقول السيوطي عن ابن جني لعسر علينا ذلك فانه ربما نقل عشرين صحيفة دفعة واحدة [٤] .

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٣/٣٤١ .

(٢) بروكلمان G. A. L. ١ / ٣٠٠ والذيل ١/٥٢٦ .

(٣) بغية الوعاة : ١٥١ وكشف الظنون ٢/١٥٤٤ والكشاف عن مخطوطات الأوقاف ١٩٣.

(٤) نضرب لك مثالاً بكتابين من كتبه أحدهما المزهر وثانيهما الأشباه والنظائر ففي الجزء ١ من المزهر انظر الصحائف من طبعة بولاق : ٦ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٠ ، ٤٧ ، ٥٨ ، ٩٥ ، ١١١ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٦٩ .
وفي الجزء الثاني منه : ١٥ ، ٢٠ ، ٣١ ، ١٨٧ ، ٢١٠ ، ٢٤٨ .
وفي الأشباه والنظائر ج ١ طبعة الهند : ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٩ الخ .
وفي الجزء الثاني : ٣٤ ، ٤٢ ، ٤٨ ، ٦٨ ، ١٠٢ ، ١٢٤ ، ١٤٦ ، ١٧٣
وفي الجزء الثالث : ٨٦ ، ١٣٣ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ٢٢٠ .
وفي الجزء الرابع : ١٠٩ ، ٢٨١ ... الخ ..

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أما بعد فقد رأينا تأثير ابن جني في النحاة والصرفيين وإفادتهم من كتبه ، ولا عجب فهو الذي تعمق في هذا العلم فوقف الناسُ بعده عند الحد الذي حدّه .

وهو أول من ابتدع بحث (الاشتقاق الأكبر) في علم الصرف ودلّل عليه وذكر طرفاً من الأمثلة عليه في كتاب الخصائص [١] . وقد ذكر السيوطي ذلك فقال : إنه « مما ابتدعه الامام أبو الفتح بن جني وكان شيخه أبو علي الفارسي يأنس به يسيراً وليس معتمداً في اللغة » [٢] .

وقف الصرفيون عند ما كتبه ابن جني ووضحه الرضي الاسترابادي توضيحاً ذا قيمة ثم جاء بعد هذين قوم من الصرفيين بذلوا جهدهم في كتابة الأمثلة والتمرين على القواعد الصرفية ليس غير .

ومن الكتب التي ألفها المتأخرون في هذا الفن (كتاب المقصود) وقد نسبه بعضهم الى الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان [٣] ، وقد قال العلامة طاش كبري في (مفتاح السعادة) : « ومما اشتهر بديارنا مختصر مسمى بالمقصود لم نقف على اسم مصنفه إلا أنه مبارك مشهور بأيدي الناس وعليه شروح مفيدة عند أبناء الزمان » . وقال الأرزنجاني في شرح أصول البزدوي إن الامام أبا حنيفة صنف ... (المقصود في الصرف) وقيل ليس له بل هو لبعض المعتزلة [٤] . وقال الحاج خليفة : اختلف في مؤلفه فقيل الإمام الأعظم وقيل لغيره وجزم به محمد بن پير علي المعروف ببركلي (— ٩٨١) وعليه شروح كثيرة وله تراجم الى التركية والفارسية ذكرها الحاج خليفة [٥] .

---

(١) انظر ج ١/٤ ، ١٢ ، ٥٢٥ الطبعة الأولى والمزهر ١/١١١ .
(٢) المزهر ١/١٦٤ .
(٣) انظر مفتاح السعادة ١/١١٩ وكشف الظنون ٢/٥٠٨ والكشاف عن مخطوطات الأوقاف ص ١٩٣ .
(٤) مفتاح السعادة ١/١١٩ .
(٥) كشف الظنون ٢ : ٥٠٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومن كتب المتأخرين (كتاب البنـاء) المنسوب لعبد الله الدنقزي [١] ، و (كتاب الهارونية) لنجم الدين عمر بن الهروي [٢] ، وكتاب (الأمثلة) الذي لا يعرف مؤلفه ، و (بداية المبتدي) للشيخ يحيى بن رجب بن علي وقد ألفها سنة ١٠٥٠ [٣] ، وكتاب (تصريف الافعال) الذي لا يعرف مؤلفه [٤] ، وكتاب (كفاية المبتدي) لمحمد بن بير علي البركوي (البركلي) [٥] وكتاب (العلم الخفاق في علم الاشتقاق) لمحمد صديق حسن خان [٦] ، و (شذا العرف) لأحمد الحملاوي [٧] ، و (عنوان الظرف) لهرون بن عبد الرزاق [٨] وغيرهم من المتأخرين .

وكتب المتأخرين هذه تنتظم بحوثاً موجزة في التصريف مأخوذة عن ابن جني مثل التصريف الملوكي ، أو عن كتب ابن مالك وابن هشام وليس فيها شيء من الابتكار أو تطوير هذا العلم وتهذيبه ، كما نبين ذلك فيما بعد :

ملاحظاتنا على كتب التصريف : تفنن الصرفيون القدماء في هذا العلم وجاءوا فيه بأبحاث طريفة ونكات علمية مفيده تدل على ذوق سليم وملكة رفيعة ضبطت أحكام اللغة ونظمت معاجمها وأنقذتها من الفوضى التي كانت قبل أن ينتظم أمر هذا العلم . ولكن شيئاً واحداً كان ينقص هؤلاء التصريفيين ليجيء ما كتبوه كاملاً أو قريباً من الكمال وذلك بمقارنتهم اللغة العربية مع اللغات

(١) فهرس دار الكتب المصرية ٢/٥١ .
(٢) انظر الكشف ٢/٦٤٥ .
(٣) فهرس دار الكتب المصرية ٢/٥١ .
(٤) فهرس دار الكتب المصرية ٢/٥٢ .
(٥) فهرس دار الكتب المصرية ٢/٦٦ .
(٦) نشرته مطبعة الجوائب ١٢٩٦ .
(٧) نشرته مطبعة بولاق ١٣١٢ .
(٨) نشرته مطبعة بولاق ١٨٨٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

السامية الأخرى فلو أنهم فعلوا ذلك ـ وقد كان في وسعهم أن يفعلوه ولكن عنجهيتهم أبت عليهم أن يتعلموا لغات ميتة أو كالميتة لا قيمة لها في نظرهم ـ أقول : لو أنهم فعلوا ذلك لأتت بحوثهم كاملة . وقد لاحظ هذا الأمر صديقنا وأستاذنا الأستاذ خير الدين الأسدي فقال : « لا مراء في أن نحاتنا برزوا على أمم الأرض طرًّا في التنقير والتثبيت والاستقراء واستيفاء البحوث وحمل الأحكام على الإحكام ، ولئن كانت مهمة شامپليون وماريت باشا وماسپيرو وأمثالهم في حل طلسم الهيروغليفية عسيرة وعسيرة جداً الأمر الذي جعل كلاً منهم دولة من الذكاء وجبروت هذا الذكاء ، فان مهمة الخليل وسيبويه والكسائي وأمثالهم لا تقل في خطورتها عن مهمة أولئك بل هي أشد خطورة إذا تمثلت معي اضطلاعهم بأعباء لغة ترامت آفاقها وبعد غوْرها وتشعبت مسالكها والتاثت معالمها ومنيت بأفانين من ضروب الفوضى والاضطراب والامعان في هذه الفوضى وهذا الاضطراب ، بيد أن خطأ نحاتنا كان عظيماً في تنكبهم عن مقارنة العربية باللغات السامية الأخرى فلقد كانوا يتصورون أن اللغة العربية هبطت من حالق مقدرة بمقادير خاصة بها لا تشرك غيرها في شيء كما لا يشركها غيرها في شيء ... » [1] .

ولقد سمعنا من أستاذنا العلامة الجليل ابرهيم مصطفى شيئاً يشبه ذلك في محاضرة له ألقاها عن تاريخ النحو العربي فقال : لو أن ابن جني ، على جلالة قدره ، كان يعرف اللغات السامية ويقارن بينها وبين العربية لما وقع فيما وقع فيه من تخاريج غريبة كقوله في اشتقاق (توراة) إنها فوعلة من وري الزند وأن أصلها وورية وأن الواو الأولى أبدلت تاء وأنهم لو لم يبدلوها تاء لوجب أن يبدلوها همزة لاجتماع الواوين في أول الكلمة مثل توجل لأنها من الولوج ... » .

هذا ضرب من ضروب الخطأ التي وقع فيها ابن جني . وهناك أمر ثانٍ تعاب عليه كتب ابن جني وسائر الصرفيين من متقدمين ومتأخرين ، وهو فساد التبويب وسوء

(١) رسالة « ليس » للأسدي ص ٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

التركيب والذي نراه أن تكون كتب الصرف مؤلفة من فصول ستة على النمط الآتي:

الفصل الأول : في المصطلحات الصرفية وما ينبغي أن يطلع عليه الطالب قبل الولوج في البحث .

الفصل الثاني في أبنية الأفعال وما يعتورها من أحكام الإعلال والإبدال والقلب .

الفصل الثالث : في الأسماء وأبنيتها وما يعتورها من أحكام .

الفصل الرابع : في التغييرات التي تطرأ على الكلمات أثناء إعلالها وإبدالها .

الفصل الخامس : في المقارنات بين اللغة العربية واللغات السامية .

الفصل السادس : في التمرينات .

وإننا لنؤمل خيراً كثيراً من الحركة التي ظهرت مؤخراً في الجامعات السورية والمصرية والعراقية [1] والتي تسعى لإحياء النحو والصرف العربيين إحياءً صحيحاً يعتمد على مقارنة اللغة العربية باللغات السامية . هذه النهضة التي كان يضطلع بأعبائها زعيمان من زعماء علماء اللغة العربية ، أولهما عراقي وهو العلامة المغفور له الدكتور عز الدين آل ياسين أستاذ النحو واللغات السامية في كلية الآداب العراقية ، الذي توفاه الله قبل سنة فلم يتمكن من أداء رسالته ، وثانيهما مصري وهو الأستاذ الجليل ابرهيم مصطفى صاحب « إحياء النحو » وعضو المجمع اللغوي المصري وإن كتابه هذا لخطوة مباركة ورشيدة للسير بالعربية وبحوثها سيراً جديداً ، وإننا نرجو أن يصدر الأستاذ ابرهيم مصطفى في القريب كتابه الثاني الخاص بإعراب الفعل ثم يعقب على كتابيه هذين بكتاب ثالث يبحث فيه عن التصريف وينقذنا من فوضى المتأخرين الذين عقدوا هذا العلم وأفسدوه .

(١) عمدت الجامعتان المصريتان في القاهرة والاسكندرية والجامعة السورية في دمشق والجامعة العراقية في بغداد الى اسناد تدريس مواد اللغة العربية من نحو وصرف وفقه لغة الى أساتذة يعرفون اللغات السامية ليكون قدمهم أرسخ في التنقيب عن أسرار هذه اللغة العربية المجيدة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولا ينبغي لنا ههنا أن نهمل جهوداً عظيمة يبذلها أستاذ فاضل من أساتذة العلم في حلب ألا وهو العالم الأستاذ خير الدين الأسدي صاحب (كتاب لبس) و (كتاب الهمزة) وغيرهما من الكتب الجليلة التي سلك فيها مسلك المدققين من العلماء المستشرقين الباحثين في أصول اللغات السامية ومفرداتها وإننا نرجو أن يوفق ـ أعانه الله ـ في نشر مؤلفاته القيمة التي تكشف عن العبقرية الشامية وجهودها العظيمة في خدمة العربية وعلومها وبخاصة علمي التصريف وفقه اللغة .

وبعد : فإن فضل ابن جني على تكوين علم الصرف بل على إيجاد علم فقه اللغة العربية فضل عظيم ، ولئن كان الناس يشهدون دوماً لسيبويه بالمكانة السامية والسبق في هذا الميدان ، فان ابن جني بدقته وبراعته ، ووضوحه وكشفه عن أسرار اللغة ، هو فارس هذا الميدان الأول . ثم إن القارئ اليوم لا يكاد يقرأ صحيفة أو اثنتين من (كتاب سيبويه) حتى يمل ويضجر بأسلوبه المعقد ، بينما يلتهم كتب ابن جني التهاماً .

وقل مثل ذلك في المقارنة بين عالمنا ابن جني ، وبين الخليل بن احمد الفراهيدي فيما أثر عنه فان أسلوبه معقد ، لا يكاد يفهمه المرء إلا إذا كدّ ذهنه ، وتعمق في تفكيره ، ولا كذلك كتب ابن جني . وليس في هذا مطعن على سيبويه أو الخليل ، رضوان الله عليهما ورحماته ، وإنما هو إحقاق للحق ، فان عمل ابن جني وأستاذه أبي علي الفارسي رحمهما الله كان عملاً جليلاً ، ولا غرو فان القرن الرابع بثقافاته الواسعة ودراساته اللغوية المتعددة قد مكن الرجلين من أن يأتيا بهذا الذي نراه .

ولم يكن ابن جني وأستاذه أبو علي الفارسي يقتصران على مذهب أهل البصرة ، أو أهل الكوفة ، أو أهل بغداد ، كما أسلفنا ، وإنما كانا يجمعان كل ذلك ويتخلانه ويضيفان اليه ما تهديه اليهما قريحتهما الصافية ، ويدفع اليه نظرهما الثاقب .

(يتبع) الدكتور محمد أسعد طلس

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net